فلسفة ثورة الإمام الحسين عليه السلام عند علي شريعتي كتابه الحسين وارث آدم أنموذجاً

الباحث
إبراهيم خليلي

الأستاذ المساعد الدكتور
طيبه سيفي
seyfie_288@yahoo.com

جمهورية إيران الإسلامية
جامعة الشهيد بهشتي - طهران

المقدّمة:

الشهيد هو الّذي يدافع عن الحرّية والحقّ ويحاول إحياء حقوق أمّته الفائتة، فإن قُتِل فهو شهيد وإن قَتَل فهو مجاهد. وسمي بهذا الإسم لأنه يشهد بدمه وثأره لذلك هو شهيد كذلك هو حاضر لا يغيب كما قال الله سبحانه وتعالي في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩).

الإمام الحسين عليه السلام من هؤلاء الشهداء، الّذي استشهد في سبيل الوصول إلى الحرية لأمته ولإحياء الإسلام وحقيقته؛ وهو الفخر الكبير عند المسلمين لاسيما الشيعة حيث هو ثالث الأئمة وكذلك مظهر العزة والشرافة والشعور. وليس شهيداً فحسب؛ بل إنه سيد شهداء العالمين في كل زمان ومكان حيث يعرف بـ((سيد الشهداء)) عند المسلمين ولو كانوا لقبوا ((حمزة)) عليه السلام قبله بهذا اللقب في يوم أُحد. ويقيم الشيعة وسائر المسلمين مجالس العزاء والذكري لاستشهاده كل عام. هو الذي أفضح الأعداء بثورته ونضاله عليهم حيث استشهد ليسجل بدمه وثأره ملحمة خالدة للمسلمين ولمن يطالب الحق والحرية.

ولد الحسين بن‌علي بن أبي طالب عليه السلام بالمدينة لثلاث أو لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة، ويكني بأبي عبدالله وهو وأخوه سيدا شباب أهل الجنّة بشهادة الرسول صلى الله عليه وآله وأنهما من القربي وممن نزلت بهم آية التطهير وما إلى ذلك من المناقب. وهو الإمام بعد أخيه بنص أبيه وتصريح جده صلى الله عليه وآله فيه وفي أخيه.(أدب الطفّ، ج١،ص٤٣).

فهو ولد في أحسن بيت إسلاماً بين أفضل أسرة مقاماً حيث يكون خاتم النبيين صلى الله عليه وآله جدّه وأبوه الإمام علي وأمه فاطمة وأخوه الحسن وأخته زينب عليها السلام. فمَن أجدر منه للإمامة هو

الّذي ورث الأخلاق والصداقة والشرافة والشجاعة وإلي غير ذلك من الصفات الإنسانية الّتي يعطي الله تعالى للإنسان الكامل من تلك الأسرة.

وما كفه عن المطالبة بالإمامة بعد وفاة أخيه إلّا الوفاء بالهدنة المعقودة بين أخيه وبين معاوية. ولما كتب له أهل العراق بعد وفاة أخيه بخلع معاوية والبيعة له إمتنع عليهم وذكر أن بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتى تمضي المدّة. ولما انقضت بمهلة مدة الهدنة أظهر أمره بحسب الإمكان وأبان عن حقه للجاهليين فدعا إلى الجهاد وتوجه بولده وأهل بيته من حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وآله نحو العراق لطلب النصرة بمن دعاه من شيعته على الأعداء. وقدّم أمامه ابن عمه مسلم بن عقيل رضي الله عنه للدعوة إلى الله والبيعة له وللجهاد، فبايعه أهل الكوفة على ذلك. ولكن سرعان أن نكثوا بيعته وخذلوه وخرجوا إلى حرب مع الحسين عليه السلام ومنعوا المسير إلى بلاد الله واضطروه إلى حيث لا يجد ناصرا ولا مهربا منهم وحالوا بينه وبين ماء الفرات حتى تمكنوا منه فقتلوه عليه السلام ظمآن مجاهداً صابراً محتسباً مظلوماً (نفس المصدر،ص٤٤).

فلا عجب لأن الشيعة قد تجرب النقض في بيعتهم قبل ذلك، زمن أبيه الإمام علي عليه السلام بعد أن خلّفه رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم خليفة للمسلمين. لأن الرئاء والتظاهر هما عاملان أساسيان في تحريف الحق والحقيقة عن مسيرهما المستقيم لتداوم الحكم المزوّر. والآن نشهد التاريخ يكرّر زوره على الحسين وأهل بيته عليه السلام.

اختلف في تاريخ قتله عليه السلام فجاء في كتاب((أدب الطفّ)): مضي الحسين عليه السلام في يوم السبت، العاشر من المحرم سنة احدى وستين من الهجرة بعد صلاة الظهر منه قتيلا مظلوما؛ ثم كتب المؤلف: أقول والأصح أنه عليه السلام قتل يوم الجمعة، العاشر من المحرم إذ كان أول المحرم الذي قتل فيه يوم الأربعاء وتواترت الروايات أنه عليه السلام نزل كربلاء يوم الخميس وهو اليوم الثاني من المحرم، وتقول أكثر الروايات: واصبح ابن سعد يوم عاشوراء وهو يوم الجمعة وقيل يوم السبت.(المصدر السابق، ص٤٧).

أهمية البحث:

إن أهمية الكتابة والدراسة حول شخصية الإمام الحسين عليه السلام ومكانته ولاسيما الثورة

التاريخية بيوم عاشوراء من محرم سنة٦١هـ. لا تخفي على أحد. تتجلي هذه الأهمية للشيعة حيث الحسين عليه السلام ثالث أئمتهم وللمسلمين لأنه أحيا الإسلام بعد أن كاد يموت وانحرف عن مسيرته الأصلية وللشرقيين لأنه قام من تلك المنطقة ولمن يذوق طعم الحرية أو يحرم منها وكذلك لمن يدرك معنا الشهادة ويحترم الشهيد وأخيرا لكل مَن يتعلم مِن مذهب الحسين عليه السلام الإنسانية والشرف.

ضرورة البحث:

لقد أُلّفت في العصر المعاصر كتب عديدة تَناول فيها الكتاب والباحثون منهج تعرّف الإمام ودراسة قيامه ووقعة عاشوراء. وحاول بعض الكتّاب والدارسون أن يعرضوا فيها صورة جديدة من شخصية الإمام وفلسفة ثورته التاريخية على الظلم وكذلك المواضع السياسية والاجتماعية آنذاك. من تلك الكتب: كتاب((الحماسة الحسينية)) لمرتضى المطهري باللغة الفارسية، ((الحسين في فكر المسيحية)) لآنطون بارا بالعربية، ((الحسين في حلة البرفير)) لسليمان كتاني بالعربية، ((الإمام الحسين في إيران)) لكورت فريشلر باللاتين.

وأما الكتاب الذي اعتمدنا عليه في هذه المقالة هو كتاب ((الحسين وارث آدم)) للدكتور علي شريعتي. بما أن شريعتي كان متخصصا في تاريخ الإسلام، كما شارك في محاضرات علم الاجتماع ثم كان يعرف الأديان والمذاهب الشرقية المختلفة كالمذاهب الهندية والصينية وإيران القديمة وكذلك يعرف الفلسفة الإسلامية والغربية المعاصرة ويجالس مع كبار الفلاسفة الحديثة نحو جان بول سارترو فرانتس فانون وغيره، لذلك استطاع أن يعرض صورة جديدة من شخصية الإمام عليه السلام على مخاطبيه وأن يدرس فلسفة الثورة الحسينية أفضل وأعمق من الكتاب والدارسين السابقين. كان شريعتي قد وفق أكثر في استدعاء شخصية الإمام الحسين عليه السلام كقائد ومثقف ومعلم الإنسانية في العصر الحديث.

إنّ نبوغ شريعتي واستعداده في عرض المباحث على المخاطبين في إطار المحاضرة والكتابة معا ينحصران فيه؛ لأنه كان خطيبا بارعا وكاتبا بليغا حيث استطاع أن يؤثر في مخاطبيه أقوي وأفضل بالنسبة إلى سائر الكتاب والخطباء فعرّف الإمام عليه السلام كمعلم مذهب الشهادة للجيل المعاصر بل حتى للأجيال القادمة.

أسئلة البحث:

لقد حاولنا أن نجيب إلى أربعة أسئلة التي وجدناها جيدة للبحث وهي كما تلي:

١- كيف يوجّه لنا شريعتي ثورة الإمام الحسين عليه السلام وبعبارة أخري كيف كانت فلسفة ثورته عليه السلام من وجهة نظر شريعتي؟

٢- ما هي مصاديق فلسفة ثورة الإمام عنده؟

٣- كيف كانت وجهة نظر شريعتي في الشهيد والشهادة؟

٤- كم وفق شريعتي في معرفة الإمام وتعريفه إلى المخاطبين؟

الدكتور علي شريعتي:

وُلد علي شريعتي مزيناني بيوم الثاني من شهرآذرعام١٣١٢هـ ش.(ديسمبرسنة١٩٣٣م) في قرية((كاهَك)) من نواحي((مَزينان)). كان أبوه الأستاذ محمّد تقي شريعتي مزيناني مفسّر القرآن الكريم ويعدّ من المناضلين في نهضة المقاومة الوطنية. وكان أجداده كلهم من علماء الدين كما كان جدّ أبيه ملّا قربان علي فيلسوفاً وفقيهاً وتلميذا من تلاميذ حكيم الأسرار، أي الشيخ المُلّا هادي سبزواري. دخل في كلية الآداب والعلوم الإنسانية من جامعة فردوسي عام١٣٣٤هـ ش بعد تأسيسها. ثم ألقي القبض عليه بعد سنتين بسبب نشاطه السياسي والاجتماعي وانتقل إلى السجن. ثمّ تزوج من إحدى زملائه المسماة بـ((بي بي فاطمة (پوران) شريعت رضوي عام ١٣٣٧هـ ش. ثم أرسل في بعثة إلى فرنسا بعد سنة لإكمال دراسته. فتخرج في جامعة((سوربون)) حاملا شهادة الدكتوراه في فرع ((تاريخ الإسلام في القرون الوسطي))عام١٣٤٢هـ ش.(جلالي،٢٩٣-٢٩٥،١٣٨٩هـ ش).

تُعدّ سنوات التي أمضاها في فرنسا من أكثر السنوات خصبا في حياة شريعتي القصيرة العريضة، كان شابّاً ذا ضمير طاهر ذكيا يقظ القلب، مسلما حقيقيا يعرف تماما قيمة كونه مسلما حقيقيا، عرف تراثه جيدا. لم يحس بنفسه قط ((كمسلم))ضئيلا أو صغيرا أو متخلفا أمام الجبروت الغربي، لم يفقد شخصيته الإسلامية وذاته الحقيقية، بل على العكس كانت فرصة سانحة لكي يعرف شريعتي عن القرب حقيقة الحضارة الأوروبية والشخصية الغربية؛ واعتمادا على هذا الفهم وضع شريعتي أهمّ نظرياته في فكرة الحي الثوري، وهي نظرية

العودة إلى الذات.(دسوقي شتا،١٣،٢٠٠٧م).

عُـين أسـتاذاً بكليـة الآداب في جامعـة فردوسـي. ثـم انتقـل إلى طهـران لإلقـاء كلماته(محاضراته) بعد أن دعاه الأستاذ الشهيد مرتضى المطهّري عام١٣٤٧هـ ش. اضطر أن يعرّف نفسه إلى السافاك (جهاز الأمن الإيراني والاستخبارات أيام الشاه) بعد اعتقال أبيه عام١٣٥٢هـ ش. حيث بقي في السجن ثمانية عشر شهرا. ثم أطلق سراحه عام١٣٥٤هـ ش. هاجر مع أسرته إلى إنكلترا وبعد ثلاثة أسابيع عثر عليه ميتاً في غرفة نومه صباح يوم الأحـد٢٩خـرداد عـام ١٣٥٦هــ ش (مـايو سـنة١٩٧٧) مـن مدينـة سـاوت همپتـون. (جلالي،٢٩٥-٢٩٧، ١٣٨٩).

نظرة إلى كتاب الحسين وارث آدم

يشتمل هذا الكتاب على تسعة كتيبات هي:

١- كتيب الحسين وارث آدم الّذي ألّفها شريعتي في ليلة عاشوراء عام١٣٤٩هـ ش. واستلهمه من زيارة الوارث ويحاول في هذا الكتاب أن يربط ثورة الإمام الحسين عليه السلام إلى ثورات الأنبياء السابقين وكفاحهم أمام الظلم والجور حتى تصل تلك الثورة إلى آدم عليه السلام.

٢- كتيب الثأر الذي كان في الأصل محاضرة ألقاها الدكتور عام ١٣٥٥هـ ش. على الناس ويفصل فيه معني الثأر من حيث اللغة والمعني؛ ثم يربط كلمة الثأر بالوراثة وهما يعدّان من تاريخ الإنسان وفلسفة تاريخه من وجهة نظرالشيعة.

٣- كتيب الشهادة كذلك كان أصله محاضرة ألقاها الدكتور في مسجد ((حسينية الإرشاد)) عام١٣٥٠هـ ش. ويفسّر فيها معني الشهادة والشهيد وفلسفة ثورة الإمام عليه السلام وكيفية ثورته والمواقف السياسية والاجتماعية والدينية آنذاك.

٤- كتيب بعد الشهادة وهو أيضاً كان في الأصل محاضرة ألقاها الدكتور في الحسينية نفس السنة. وشريعتي في هذا الأثر يصيح ويدعو أتباع الحسين عليه السلام لاسيما الشيعة إلى تتبع سبيل الإمام عليه السلام للحصول على الحق والحرية والشرافة والإسلام الحقيقي.

٥- كتيب بحث حول الشهيد كان محاضرة أيضاً ولم يعثر على تاريخ إلقائها؛ ويتحدث شريعتي فيه عن المفهومين الشهيد والشهادة ويذكر فلسفتهما ثم يفرق بين الشهادة والجهاد كما يميز بين الشهيد والمجاهد.

٦- كتيب النظرة الشيعية للتاريخ وهو أيضاً محاضرة ألقاها الدكتور عام ١٣٤٩هـ ش. في مسجد الجواد وتلك المحاضرة عُرفت كذلك بالإسلام دين التاريخ؛ يتكلم في النظرة الشيعية ويتحدث بأنه كيف يجسّدُ التشيع في قصة كربلاء تجسيداً.

٧- كتيب الانتظار، مذهب الاعتراض محاضرة ألقاها في الحسينية عام ١٣٥٠هـ ش. يتحدث فيه عن حقيقة ظهور الإمام المهدي(عج) ويعتبر أصل الانتظار مذهباً للاعتراض على الوضع الراهن ثم يشرح كيفية ظهوره(عج).

٨- كتيب فلسفة التاريخ في الإسلام هو أيضاً محاضرة ألقاها عام ١٣٤٩ في الحسينية، يعرِّف فيه مفهوم التاريخ ثم يعتبر فلسفة التاريخ في الإسلام فلسفة الجهاد والنضال بين الحق والباطل.

٩- مقدمة الدكتور على كتاب حُجر بن عدي تأليف ((حسن أكبري مرزناك)) عام١٣٤٧هـ ش. وشريعتي يذكر فيها الصحابة المخلصين كعمّار، سلمان، أبي ذر، بلال وغيرهم، ثم يذكر حجر بن عدي وهو من أوفي صحابة الإمام الحسن عليه السلام ويصوّر الأوضاع الغامضة منذ زمن الإمام ودور حجر آنذاك.

مصاديق فلسفة ثورة الإمام الحسين عليه السلام عند علي شريعتي

١) قضية الوراثة: يعتقد الكثير من الكتاب والمؤرخين بأن الإمام عليه السلام ثار على يزيد لأنه كان يشرب الخمر ويلعب بالكلاب؛ ولكن شريعتي يخالفهم فيما يعتقدون به، ويرى أن ثورة الإمام عليه السلام كانت نتيجة الوراثة التي بدأت منذ قصة قابيل وقتل أخيه هابيل على يده، فلهذه الثورة جذر في التاريخ. فيقول في هذا المضمار:

((إذاً فالحسين ليس سياسياً "حارب" يزيد؛ لأنه كان يشرب الخمر ويلعب بالكلاب فوقعت هذه الحادثة الأليمة، الحسين وارث الراية الحمراء التي تناقلتها الإنسانية يداً بيد منذ زمن آدم، وهي اليوم بيد الحسين، وقد أعلن شعاره: "كل شهر محرم وكل يوم عاشوراء

وكل أرض كربلاء" وأودع الراية بيد قادة الناس والأحرار وجميع المطالبين بالعدالة في تاريخ البشرية تتداولها الأيدي يداً بيد؛)).(دسوقي، ص ٢٠٠٧،١٢٤).

ولا يعتبر شريعتي حادثة كربلاء من باب التصادم كسائر الحوادث والتصادمات التاريخية فحسب بل يقول: ((ولهذا فإننا لا نرى في كربلاء معركة بين الحسين ويزيد؛ لأنّ الحسين لم يثر ضدّ يزيد لأنه شخصيا عضو فاسد وإنسان ساقط؛ لم ينهض الحسين من أجل أخذ حقه الشخصي الذي اغتصبه يزيد، لم ينهض من أجل حقّه أو حق الحسن وعلي الذي اغتصب، لم يثر الحسين لهذا ولا لغيره، إنما ثار الحسين من أجل أن يرفع الراية التي حملها رواد التوحيد منذ انطلاقة التاريخ البشري وتوارثها أنبياء الحق العظام منذ آدم حتى وصلت بيد نبي الإسلام آخر الأنبياء، ومن ثم بيد الإمام علي والحسن؛ ثار ليرفع هذا اللواء عاليا خفاقا في تاريخ الإنسان)).(نفس المصدر،٢٨٨).

يعتقد شريعتي بأن الحسين عليه السلام ثائر من هؤلاء الثوار الذين سبقوه في التاريخ منذ هابيل وستستمر هذه الثورة حتى قيام إمام العصر(عج) فيقول: ((وما هو الهدف؟ الهدف الإنتقام وأخذ الثأر من بني قابيل الملطخة أيديهم بدماء ثاراتنا العزيزة{...}. "الثورة"، "الثأر" و"الوراثة" قصة بداية التاريخ، يعني أن الثأر الأول "هابيل"، ومن ثم آخر الزمان يعني تحقق الثأر والإنتقام العالمي، وهذا ما يفسر "فلسفة تاريخ الإسلام "بالمنظار الشيعي))(نفس المصدر،٢٣٦و٢٣٧).

٢) كيفية اتخاذ القرار من جانب الإمام لإعلان كفاحه على الظلم في الأوضاع الغامضة

آنذاك: يعتقد شريعتي بأننا يجب أن نفهم الأوضاع والمواقف التي كان يعيش فيها الإمام عليه السلام حتي ندرك كيفية ثورته وكذلك صورة نضال الذي اختاره وهذا يدل على أن شريعتي عالم ومتخصص بالإجتماع كما يجب على الثائر أن يعرف المواقف المختلفة في زمنه فيقول: ((لا يفهَمُ شكلُ النضال الذي اختاره الحسين إلا أن تفهَم الظروف والشروط التي بدأ فيها الحسين ثورته الخاصة)) (حسين وارث آدم،١٣٦).

ثم يقسّم الناس إلى ثلاثة الطوائف الذين يواجههم الإمام عليه السلام فيقول:

((الفئة الأولي: لم يؤات الصبر أفرادها على تحمل ما يجري من هتك للقيم الإسلامية الشريفة، فجاهروا بالثورة ورفعوا الصلوات وقتلوا. كان أبو ذر وعمار وعبدالله بن مسعود وميثم وحجر بن عدي قد سلكوا طريق الشهادة. الطائفة الثانية هي الطائفة التي تحتاج تعبّد الحق في الظروف الصعبة إلى الفدائية، ولا حظّ لمن يريد أن يبقي مسلماً حقيقياً ولا غنيمة له بل التعذب (العذاب) والسجن، لقد خطر ببالهم تبرير جديد. الفئة الثانية: انتهت إلى أن الجنة التي ينبغي نيلها "تحت ظلال السيوف"، والتي كان "الجهاد بابا من أبوابها"، يمكن نيلها عن طريق أكثر سهولة وأقل نصبا، وهو طريق الزهد والعبادة واعتزال الناس وكان ممثل هذه الفئة عبدالله بن عمر. الفئة الثالثة: وأفرادها كان لهم شرف الجهاد مع الرسول في بدر وأحد وحنين، ونالوا مفاخر التضحية في مدينة الهجرة والجهاد، فقد باعوا ماضيهم وانتهوا إلى الدعة والراحة في "قصر الخضراء" عند معاوية {...} وعلي منوال أبي هريرة يسلكون طريق ابتداع الأحاديث واختلاق المتون لإسناد حكم من؟! حكم من ظلم الرسول وآل بيت الرسول وثورة الرسول وقيم الرسول، حكم معاوية)).(الشهادة،٦٠و٦١).

إلى جانب تلك الفئات توجد فئات أخرى هم: المُرجِئة والمجبرة اللتان تنصرفان الإنسان عن أداء المسؤولية على أساس فلسفتهما، فيقول شريعتي في هذا المضمار: ((وكان من نتائج الحملة الجاهلية الجديدة، تحت قيادة الأموية، أن نشأ تياران باسم الله واسم الدين تناميا وانتشرا كالسرطان في روح الأمة. وكان التيار الأول هو تيار "المُرجئة" ودعاته كانوا في "الظاهر" من علماء ومتكلمي الإسلام، رجال دين وأئمة مساجد، ليسوا طلاب جاه ومال، ولم يشركوا بدم أحد، بل أقبلوا على تدارس العلم منصرفين إلى هموم العقيدة.{...}كان فحوي هذه العقيدة أن كل شرير أو خير، أوكل آثم أو مجرم بالغا ما بلغت جريمته، عليه أن يرجو مغفرة الله وينتظر رحمته)).(الشهادة،٧١).

أما الوباء الثاني فهو مذهب "المجبرة" الذي نشأ وانتشر في نفس الفترة، فكأن ثاني مدرسة أخذت شكل فلسفة إلهية بعد المرجئة التي اتخذت من القرآن وسيلة لصدّ الناس عن الجهاد وشل الأفكار والعقول المناهضة للحكم الأموي. لقد اعتمدت هذه المدرسة مبدأ الجبر الإلهي الذي يستمد من القرآن أسسه وأدلته وهو: ((إن الله الحاكم المطلق للعالم، وإن كل ما يحدث فيه هو طبق إرادته ومقتضي مشيئته{...}. وفي المفهوم السياسي كذلك كان

هذا المذهب، من خلال إطاره الديني، دعما لبني أمية وللسيادة الأموية، وبالتالي أصبحت إرادة بني أمية إرادة الله)). (نفس المصدر، ٧٣و٧٤).

فيجسّد شريعتي تلك الظروف الصعبة الغامضة التي اختلطت الصداقة بالعداوة والشرافة بالرذالة فيري الإمام الحسين عليه السلام مندهشا صعبا عليه اتخاذ القرار ولابد له من الأمرين:

((جاء الحسين وأمامه هذه السلطة التي تمتلك الأفكار(العقول والعقائد)وكذلك الدين والقرآن والقدرة والظلم والسيف والدعاية وكل الأسلحة وبيت المال وكل ميراث النبي بين يديه. ظهر الحسين صفر اليدين، أعزلا من كل سلاح، ماذا كان في مقدوره أن يفعل؟ وكان عليه أن يختار بين الأمرين: أن يقول: لا، لا أستطيع النضال السياسي مع بني أمية وهذا يتطلب "قوة" ولا أملكها، وإما اللجوء إلى النضال الفكري باستخدام العلم سلاحا؛ والحسين لن يقاوم بالفكر وحده وهو أمر لا يستطيع أن يختاره)). (الشهادة، ٧٩و٨٠).

هناك يرى شريعتي بأن الإمام عليه السلام لا يستطيع أن يقاتل لأنه ليس عنده جيش يصاحبه، وكذلك لا يستطيع أن يسكت أمام الظلم فيأخذ بالتدريس ونشر العلم ثم يقول:

((لا هو قادر على الصمت، لأن المسؤولية تدعوه، ولا هو قادر على رفع الصوت، لأن السلطة مستبدة قوية غاشمة)). (نفس المصدر،٩١).

يعتقد شريعتي هنا عاملان يحضّان الإمام عليه السلام على القيام والثورة هما: المسؤولية والحسينية (أي كون الإمام حسينا). فيقول:

((وهنا تبدأ المأساة: الوجوب وعدم الإمكان على أن عدم الإمكان سرعان ما يسقط، أما الوجوب فلا. ذلك أن المسؤولية اتجهت إلى إنسانيته الواعية، إلى حسينيته لا إلى قدرته، فهو حسين رغم عجز وحدته ووحشة طريقه)).(نفس المصدر،٩٢).

٣) الفرق بين الشهادة والجهاد أو الفرق بين الشهيد والمجاهد: كثيراً ما يمزج الكتاب والمؤرخون بين هذين اللفظين ويعتبرونهما شيئاً واحداً؛ بينما شريعتي يميز بينهما وهذا هو الشيء الذي يعرّفه في هذا الكتاب ويؤكد عليه، فيقول:

((فالشهادة تعني الحضور والإبصار والإخبار والشهود والصدق والأمانة والوعي للشخص الذي تتطلع إليه العيون وهي تعني أخيرا: القدوة والنموذج)).(الشهادة،١١١).

يرى شريعتي بأن الشهيد في ثقافتنا الإسلامية هو الذي يختار سبيل الشهادة طوعا واختياراً لا مفروضا وقسراً:

((لا! الشهادة في معارفنا ليست موت يفرضه العدو على المجاهد. بلال شهادة: اختيار واع يقدم عليه المجاهد بكل طواعية ووعي وإدراك ويختاره بدافع ذاتي بعيد!)) (نفس المصدر،١١٢).

((إنّ الإمام الحسين قد تعلّم الشهادة من علي بأنها ليست حالة(فحسب) في معناها الأخصّ والأعلى، ولا موت المجاهد على أيدي العدوّ، بل إنها "حكم" في نفسها، "حكم مستقل"، "غير الجهاد"، و"بعد الجهاد")) (حسين وارث آدم،١٧٨).

((إن الشهادة هي الشيء الذي يتغلغل في أعماق التاريخ، لتكون قدوة لمن يأتي ويريد أن يكون، وهي إدانة لهذا العصر الذي يمضي بصمت. ثم إنها الطريق الوحيد، وشكل المقاومة الوحيدة، وعلامة الحضور والدفاع عن العدل والصدق والحق الذي جرده بالخيانة والباطل والظلم، نظام هذا العصر من سلاحه. (الشهادة،١١٣و١١٤)

لا يرى شريعتي الشهادة موتا أو حادثة فحسب بل يعتبرها "درجة" و"مسؤولية" يختارها الشهيد ويصعد بها إلى الأعلى:

((ثم إن الشهادة تختلف في نظرنا عما هي عليه في تاريخ الأمم من: أنها مصير محتوم بالموت للبطل(تراجيديا).الشهادة في قاموسنا "درجة"، فهي ليست وسيلة إنما هي هدف، إنها أصالة وتأمل وسمو، إنها مسؤولية كبري وصعود من أقصر الطرق إلى المعارج الإنسانية، إنها منهج)) (الشهادة،١١٥).

يعرّف الشهادة بأجمل وأقصر تعريف ممكن: ((فالشهادة دعوة لكل الأجيال في كل العصور: إذا استطعت فاقتل، وإلا فمُت)) (نفس المصدر،١١٥).

يستنبط شريعتي من كلمة "الشهيد" الإنسان الشاهد والحاضر والذي يشهد عن شيء امّحي وغاب ونسي عبر الزمن في الظروف المختلفة، ولا شك أنه يستنبط هذا المفهوم من

هذه الآية القرآنية: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة:١٤٣): إذن يقول: ((الشهادة هنا لا تعني القتل، وإنما تعني: أن ثمة شيئا غائبا في طريقه إلى الزوال والأفول ومغادرة الميدان، يكاد الناس ينسونه تدريجيا؛ والشهيد يشهد لهذا المظلوم المقهور المخنوق الصامت، ومن ثم يعيده إلى الأوساط من جديد)) (الحسين وارث آدم،٣٠٣).

يرى شريعتي بأن الشهيد هو الذي يختار الشهادة حتى يفضح العدو لأنه لا يملك سلاحا آخر، ولكن المجاهد فهو يهاجم على العدو إن قُتِل فهو شهيد وإن قتل فهو مجاهد؛ هناك فرق بين شهادة الإمام الحسين وحمزة عليهما السلام حيث يطلِق شريعتي لفظين اثنين لهما: الشهادة الحسينية والشهادة الحمزوية:

((والشهيد هو من يمنح وجوده بالكامل في عملية واحدة، ويفني نفسه من أجل تلك العقيدة وذلك الهدف المقدس الذي نؤمن به وبقدسيته جميعا)) (الحسين وارث آدم،٢٩٧).

((ان الفكر والمعتقد حينما يكون مهددا بالإبادة، يضحي الشهيد بروحه ليرسخ "الفكرة" ويمنحها الوجود مرة أخري ويعيدها إلى ساحة الحياة، ففي ذات الوقت الذي يتحول فيه الشهيد إلى "فكر" ويكون دائما وأبداً شاهداً مشهوداً مرئياً منظوراً حاضراً نصب أعيننا، يكون "الفكر أيضاً حاضراً فيه دائماً وأبدا، متجسدا وثابتاً فيه، ينتعش مرة أخري ويحيا من جديد)) (نفس المصدر٢٩٨و٢٩٩).

ثم يذكر شريعتي الفرق بين الشهادة الحمزوية والحسينية بعد تبيين معني الشهادة:

((فالإمام الحسين إذن يختار الشهادة كهدف ووسيلة، وسيلة لإثبات الأمر الذي يسرع نحو الأفول، يحاربه لجهاز الحاكم ليلقي به على الهامش ومن ثم يمحقه، وسيلة لإحياء ما تسعي السلطة لإماتته. فيما كانت "الشهادة" تختار حمزة وسائر المجاهدين الآخرين الذين قتلوا في سبيل الله، يعني أن حمزة وسائر المجاهدين جاءوا من أجل "النصر" وإن احتملوا الموت أيضاً فنهم أقدموا بنية "النصر" فإذا أصابهم الموت فمرحبا به، أما الهدف الأساس فهو الانتصار وإلحاق الهزيمة بالعدو، فيما كان هدف الإمام الحسين بذل النفس والتضحية

بالروح من أجل المقدسات المهددة بالإبادة، المتدرجة في غياهب الأفول)) (الحسين وارث آدم،٣٠٠).

٤)**النصر في الهزيمة:** كثيراً ما يظن بأن الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يقاتل يزيد فهجم عليه لكنه استشهد ولم يستطع أن يغلب على الظلم والجور فانتصر يزيد (لعنه الله)! لقد أجاب شريعتي بهذه المسألة خلال تبيين الفروق بين الشهادة والجهاد؛ والسؤال الذي يطرح هنا: إذا أراد الإمام عليه السلام أن يستشهد أمام العدو، فلماذا جاء بأهل بيته وقومه حتى الطفل الرضيع إلى هذه الصحراء الحارة؟!

((واليوم، جاء الحسين بكل وجوده إلى شاطئ الفرات ليشهد في محكمة التاريخ؛ جاء ليشهد لصالح المضطهدين والمظلومين عبر التاريخ، جاء ليشهد لصالح المدانين والمقهورين في حكومة الجلاد الحاكم على التاريخ.؛ يشهد هذا الجلاد "الضحاك" كيف كان يحطم أدمغة الشباب على طول خط التاريخ، يشهد بعليه الأكبر؛ ليشهد كيف كان الأبطال يموتون تحت نير أنظمة الجريمة الجائرة، يشهد بنفسه؛ ويشهد أن المرء في ظلّ النظام الحاكم على التاريخ إما أن تستسلم للأسر فتكون دُمية بين عرائس السلطان، تحكمها قوانين "الحريم" وإما أن تتسلح بالحرية فتكون حادية لضغن الأسري وخليفة لقافلة الشهداء، يشهد بزينبه؛ ويشهد على أن الجلاد الحاكم في أنظمة الظلم والجور والجريمة لم يرحم رُضّع التاريخ الأبرياء، يشهد بطفله الرضيع. جاء الحسين بكل وجوده يشهد في محكمة الجريمة في التاريخ لصالح اولئك الذين لم تسجل أبدا شهادة لصالحهم، وإنّما ماتوا بصمت وسلبوا حق الدفاع)) (نفس المصدر ،٢٤٣).

((لقد جاء بكيانه ووجوده وحياته، وجاء بأهل بيته وأعز الناس على قلبه، ليشهد ويشهدهم: إنني لقد أدّيت (أنجزت) مسؤوليتي في عصري الذي صار الحق بلا سلاح ولا دفاع؛ وليشهد: أني لا أقدر على أكثر مما فعلت))(الشهادة،١١٣).

كيف ينتصر الشهيد على العدو بعد أن استشهد؟!

((...لأن الشهيد إنسان ينتصر على العدو في زمن الهزيمة والعجز، ينتصر عليه بموته ويفضح العدو حينما لا يستطيع دحره وهزيمته)) (الحسين وارث آدم،٢٤٦).

لماذا يحتاج المجتمع إلى الشهيد أو كيف يخدم الشهيد إلى المجتمع بشهادته وماهي صلة الشهيد بالتاريخ؟

((والشهيد قلب التاريخ، فكما أن القلب يضخ في العروق المتيبسة الميتة الدم والحيوية، فكذلك الشهيد تماماً يضخ دمه في جسد المجتمع المحتضر؛ المجتمع المنحدر نحو الموت؛ المجتمع الذي فقدَ أفراده الثقة بأنفسهم واستسلموا للهزيمة، المجتمع الذي أبتلي بالموت البطيء، المجتمع الذي مكن العدو من نفسه بالاستسلام له، المجتمع الذي تناسي الشعور بالمسؤولية، والذي عقمَ عن الإنجاب وتقاعس عن الحياة والحركة)) (نفس المصدر،٢٤٦).

((إنّ الحسين أعظم مغلوب منتصر في التاريخ)) (نفس المصدر،٢٨٦).

٥) الدروس التي يستنبط شريعتي من ثورة كربلاء التاريخية والتي يمكن على كل إنسان مسؤول في هذا العصر أن يدركها ويستخدمها في حياته المعاصر:

الدرس الأول: إن في "عدم الاستطاعة" هذه "وجوبا" أو المسؤولية:

((لقد قام الآن "معلم الشهادة"، قام ليعلم الذين ظنوا أن الجهاد يجب بالقدرة، والذين توهموا أن النصر هو فقط الغلبة على العدو، قام ليعلمهم: أن "الشهادة" ليست "خسارة "إنها "اختيار"، اختيار المجاهد للتضحية على أعتاب المحراب الحرية ومعبد الحب، اختيار الجهاد والنصر. إن الحسين وارث آدم الذي أعطي الإنسان الحياة؛ وارث الأنبياء الذين علّموا الناس كيف الحياة؛ وها هو في هذا العصر يعلم "أبناء آدم" كيف يموتون. ها هو ليقول للناس: إن الموت الأسود هو مصير مشؤوم ينتظر كل ذليل يصافح العار لكي يعيش، وأن من لم يجرؤ على اختيار "الشهادة" سيختاره الموت!))(الشهادة،١١١).

((أن يكون {الشخص} مسؤولا عن رفع راية الجهاد، مهما بلغ المدي الذي وصلت إلى من الخور والتخاذل والاستسلام، ومهما بلغ ظلم السلطة من الشدة والقوة ومن البطش والقهر والقمع{...} وكانت فتوي الحسين وردوده على كل الاجتهادات والاعتراضات والتبريرات{...} فتوى جامعة شاملة حاسمة، لقد قال: نعم، إن في "عدم الاستطاعة" هذه "وجوبا"، فالحياة عنده تعني العقيدة والجهاد{...}. "الإنسان الحي" هو المسؤول عن الجهاد وليس "الإنسان القادر")) (نفس المصدر،١٠٥و١٠٦).

الدرس الثاني: تفسير الإمام عليه السلام من فلسفة الحج وتبيينها بعمله ولا بشعاره فقط وعلي أن فلسفته لا تحدد بأداء الأحكام والأعمال الدينية فحسب، فيقول فيه شريعتي:

((لقد علّمَنا الحسين درسا أعظم من درس شهادته، بتركه مراسم الحج ناقصة وذهابه نحو الشهادة{...}؛ إنه لا يتم مراسم الحج، من أجل أن يعلّم كل الحجاج في التاريخ، المصلّين في التاريخ، والمؤمنين بسنة إبراهيم، أنه إن لم تكن الإمامة، إن لم تكن القيادة، إن لم تكن هنالك غاية، إن لم يكن الحسين ويكون يزيد، فإنه لا فرق بين الطواف حول بيت الله، والطواف حول بيت الأصنام!)) (الحسين وارث آدم،٢٤٧).

هذا هو "فلسفة الحج" التي علّمَنا ويعلّمُنا الإمام بعمله ولا بحديثه وشعاره فقط، وهذا هو الدرس الحقيقي الذي يجب أن يتعلمه كل حاج يحج ببيت الله وعليه أن يجد الجهة الأصلية من حجه وإلا فلا فائدة فيه:

((في تلك اللحظة التي ترك فيها الحسين حجه ناقصا، ونادي بالرحيل إلى كربلاء فإن الذين كانوا يطوفون حول بيت الله أثناء غياب الحسين، يتساوون مع الذين كانوا يطوفون في ذات الوقت حول قصر معاوية الأخضر، لأن الشهيد حاضر، في كل ميادين الحق والباطل، وشاهد على كل الصراعات بين العدل والظلم، حاضر، ويبلغ من حضوره، أنه يقول لكل إنسان: إذا لم تكن حاضرا في ميدانا ما، وإذا كنت متخلفا عن ساحة الحق والباطل في زمانك، فكن أينما شئت! فإذا لم تكن في ساحة الحق والباطل، وإذا لم تكن شاهد عصرك وشهيدا على الحق والباطل في مجتمعك، فكن إذا أينما شئت، لا فرق بين أن تكون قائما للصلاة حينذاك، أو جالسا لشرب الخمر، فكلاهما سيان. الشهادة "حضور في ساحة صراع الحق والباطل المستمرة في التاريخ")) (الحسين وارث آدم،٢٤٧).

الدرس الثالث: دور المرأة في الثورة ومساعدتها لانتصار الحق على الباطل وإنما هي سيدة زينب عليها السلام التي تعلم كل النساء بعدها درك الحق والحرية وكيف هي أن تستطيع تلعب دورها في المجتمع كمرأة إسلامية:

((رجل خرج من بيت فاطمة، يثقل كاهله حمل المسؤولية! رجل هو الوارث الكبير لفوادح وعذابات الإنسانية! وحده وارث آدم ووارث إبراهيم! ووحده وارث محمّد! رجل

وحيد! ولكن لا! لقد خرجت من بيت فاطمة إمرة جنباً إلى جنبه وكانت ترافقه وتحمل نصفا من ثقل كاهل رسالة أخيه!)) (حسين وارث آدم، ١٧٠).

يقصد شريعتي من "المرأة" سيدة زينب عليها السلام ويري أنها لعبت دورها في ثورة كربلاء التاريخية لأنها رافقت الإمام عليه السلام منذ بداية حركته إلى الطفّ.

ما هي دور السيدة زينب عليها السلام في الثورة عدها؟!

((أجل، لكل ثورة وجهان: الدم والخطاب حيث أدي الحسين وأصحابه اليوم الرسالة الأولي رسالة الدم. وأما الرسالة الثانية، فهي رسالة الخطاب البلاغ، إيصال خطاب الشهادة إلى الناس{...} وتبدأ رسالة البلاغ من عصر يوم عاشوراء! تتحملها أكتاف رقيقة لامرأة "زينب"! المرأة التي تعلم الرجال في مدرستها الرجولة والمروءة والشهامة؛ المرأة التي تعلمت الرجولة في ركابها الإقدام والشجاعة ورسالتها أثقل من رسالة أخيها))(الحسين وارث آدم،٢٤٩).

فاتّضح لنا بأن كان دور السيدة تحمل المسؤولية بعد الشهادة وإبلاغها إلى الذين لم يكونوا يشهدوا واقعة عاشوراء؛ ولكن ماهي المسؤولية وكيف تبلغها إلى آذان الناس؟!

((رسالة زينب، بلاغ لكل الناس، خطاب للإنسان أينما كان ومتي كان، خطاب لكل الباكين على موت الحسين، وكل الذين يحنون رؤوسهم احتراماً وإكبارا أمام الحسين، وكل المعترفين بشعار الحسين القائل إن "الحياة عقيدة وجهاد". ورسالتها هي: ألا يا كلّ من تسمعون! يا كل من تربطه صلة وعهد بهذه الأسرة، ويا كل مؤمن برسالة محمد صلى الله عليه وآله، فكر واخترا! إستمع إلى بلاغ شهداء كربلاء في كل عصر وكل جيل وكل أرض، إستمع إليهم حيث قالوا: لا ينال الحياة الطيبة إلا من مات ميتة طيبة. قل يا كل المؤمنين برسالة التوحيد، رسالة القرآن، ومنهج علي وآله، يا كل الذين ستأتون بعدنا، هكذا كانت هذه الأسرة، لقد علّمت البشر فن الحياة الطيبة، وفن الموت الأفضل؛ ذلك لأن كل شخص يموت كما يعيش!)) (الحسين وارث آدم، ٢٥٠و٢٥١).

يرى شريعتي بأن الإمام الحسين عليه السلام قد أدي رسالته بشهادته يوم عاشوراء ولكن رسالة أخته سيدة زينب عليها السلام لاتزال تدوم على كل محبيهم ومن يتبع سبيلهم عليهم السلام، فيقول:

((أن الذين رحلوا أدّوا دورا حسينيا؛ والذين بقوا، عليهم القيام بدور زينبي، وإلا فانهم يزيديون)) (نفس المصدر،٢٥٢).

الخاتمة والنتائج:

هنا اتّضح لنا دلائل ثورة الإمام الحسين عليه السلام وفلسفتها وكيفيتها فهي:

إنّ شريعتي ينظر إلى ثورة الإمام عليه السلام نظرة أعمق وأبعد وأعلي بالنسبة إلى سائر الكتّاب والباحثين الّذين ينظرون إلى الثورة نظرة دينية بحتة، حيث يرى بأنّ ثورة كربلاء التاريخية هي أفضل ثورة نموذجة في الإسلام بل حتى في تاريخ الإنسانية، فهي تعلّمنا بأنّ في عدم الإستطاعة إستطاعة وهذا هو يعود إلى تحمل المسؤولية من قبل الإنسان كما قال تعالى: ((كلّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته)). ثمّ يرى شريعتي بأنّ اختيار الإمام ذلك الهدف والسبيل للنضال وكذلك استراتيجيته في ذلك الموقف الغامض الإجتماعيّ والسياسيّ لهما أهمّية أكثر بكثير على أن ننتبه إلى عطش الإمام في ساحة القتال وجروحه الدامية وإلي الرماح التي أصابت جسمه. لقد بينا المصاديق خلال بحوثنا في النصّ.

يرى شريعتي بأنّ الشهيد هو الّذي يموت أمام العدوّ حتّى يشهد للحقّ والحرّية بموته ودمه لأنّه لا سلاح له إلّا الموت والدم حتى يفضح العدوّ وإن لم يستطع أن يقتله؛ لذلك يفرق بين الشهيد والمجاهد كما يفرق بين المفهومين الشهادة والجهاد على أنّ المجاهد هو الّذي يهجم على العدوّ لكي يقتله؛ إذا قتله فإنّه مجاهد وإن قتِل فإنّه شهيد لكنّه فرق بين الشهيد الّذي يموت في جهاده والشهيد الّذي يريد أن يستشهد؛ لأن الأوّل يريد قتل العدوّ حتّى ينتصر عليه، وأمّا الثاني يريد الشهادة لأنّه لا يستطيع أن ينتصر على العدوّ بالسلاح والأصحاب إنّما يستطيع أن ينتصر على العدوّ بدمه وموته حتى يفضحه، كما شرحنا المفهومين خلال البحث.

وفّق شريعتي في معرفة الإمام وتعريفه إلى المخاطبين، هناك عاملان أساسيان لتوفيق شريعتي في الإرتباط بالمخاطبين هما: العلم والإحساس. حينما يتحدّث شريعتي عن الإمام وثورته ينتبه إلى المواقف التاريخية قبله وبعده ويعتقد بأن الباحث والقارئ لا يستطيع أن يفهم ثورة كربلاء التاريخية إلّا أن ينتبه إلى ماضيها التاريخية والسياسية والإجتماعية وحتي

الجغرافية. وهذا الأمر واضح في آثار شريعتي خاصّة في هذا الكتاب(الحسين وارث آدم) وهذا يعود إلى كثرة علم شريعتي وإلي مدي مطالعته ودقّته. هذا{العلم}، والإحساس الإسلامي القحّ الّذي تعلّمه من مدرسة الإمام الحسين عليه السلام وعاشوراء أدّيا إلى أن يستخدم الكلمات والإصطلاحات المتدفّقة بالحرارة والوجدان تؤثر في المخاطب حيث تمده إلى تاريخ الإسلام وعاشوراء وتجسّد الثورة أمام عينيه.

هوامش البحث ومصادره

- القرآن الكريم.
- شريعتي، علي، الحسين وارث آدم، سلسلة الآثارالكاملة١٩، منشورات القلم، الطبعة الثامنة، ربيع١٣٧٩هـ ش، طهران - إيران.
- شريعتي، علي، الحسين وارث آدم، سلسلة الآثار الكاملة٢٤، ترجمة ودراسة وتعليق: إبراهيم دسوقي شتاء، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م، منشورات دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت - لبنان.
- شريعتي، علي، الشهادة، سلسلة الآثارالكاملة٢٦، تقديم إبراهيم دسوقي شتا(لم يذكر اسم المترجم)، الطبعة الثانية،٢٠٠٧م، منشورات دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت - لبنان.
- شريعتي، علي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، سلسلة الآثار الكاملة، ترجمة حيدر مجيد، الطبعة الثانية،٢٠٠٧م، منشورات دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت - لبنان.
- برزگر جلالي، مسعود، شريعت، شريعتي وبيان ادبي مذهب، منشورات هنر اوّل، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ ش، تبريز- إيران.
- شبّر، جواد، أدب الطفّ، المجلد الأوّل، الطبعة الأولي١٩٨٨م، منشورات دار المرتضى، بيروت - لبنان.